بحث في سوسيولوجيا إشكالية التفاعل الثقافي

الثقافـــــة المهدِّدة والثقافـــة المهـــدَّدة

(٢-٢)

د. متعب مناف

النخبوي وتفاوت الفعل النخبوي

لقد اورد أحدهم النيو نخبويين ((NEO ELITESد. حسن حنفي في كتابه التراث والتجديد، قائلاً ((التاريخ سيظل الحامل للافكار، وستظل المواقف الاجتماعية هي الهيئة لظهور الفكر من خلال الشعور، أي ان الموقف هو الموقف النفسي الاجتماعي.

الفكر لا يظهر الا في التاريخ، وفي الموقف الاجتماعي، ولكنه لا يتأسس إلا في الشعور. ولكن في التاريخ هناك فرق بين الوقائع (الدالة) والوقائع (المصممة) التي لا دلالة لها.

فالاولى هي التي تثير الفكر، وهي التي يمكن رصدها لانها تبين مسار الفكر في الواقع ونشأته فيه، في حين ان الثانية مجرد تجمع لوقائع لا تعني شيئاً، وكان التاريخ ما هو الا مجموعة من الحوادث المتراصة الخالية من أي معنى)). (حنفي/ ص٧١)

ولكن د. حسن حنفي، يصعد ((فهمه)) للفكر والتاريخ الجديد، فيما ذكره عن ابتكار للاهوت جديد ((اسلامي))..... ((فاذا كان هناك لاهوت فهو لاهوت الارض، اوفقه فهو فقه الارض، واذا أسسنا لاهوتاً، فهو لاهوت التحرر، واذا اقمنا فلسفة فهي فلسفة الثورة، وإذا انشأنا تصوفاً فهو تصوف الثورة واذا شرحنا فقهاً فهو النضال واذا فسرنا دينا: فهو دين التنمية.

وقد كثر فيما حولنا لاهوت الارض، وشعر الارض من اجل سلب ارضنا فالصهيونية هي لاهوت الارض، والاستعمار ايديولوجية الارض، ومن ثم كان فكرنا الوطني على المستوى النظري مختلفاً عن ايديولوجيات التحرر الوطني المعاصر)). (حنفي، ص٤٢).

ثم ينتقل د.حسن حنفي بعد تقديمه مفهوماً لما سماه باللاهوت الارضي، الى ربط الوحي بالمشكلات الحياتية بوضعه حلولاً لها (ان نصوص الوحي ذاتها نشأت في الشعور، اما في الشعور العام الشامل وهو ذات الله أو في الشعور المرسل إليه والمعلن فيه، وهو شعور الرسول أو المتلقي للرسالة، وهو شعور الإنسان العادي، والذي قد يشعر فينادي على حل، ثم يأتي الوحي لما طلب.

والوحي ذاته مجموعة من الآيات نزلت ابان ثلاثة وعشرين عاماً كل آية أو كل مجموعة من الآيات تمثل حلاً لموقف معين من الحياة اليومية لفرد أو لجماعة من الافراد. نصوص الوحي ليست كتاباً انزل مرة واحدة، مفروضاً من عقل إلهي يتقبله البشر، بل مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تخر بها حياة الفرد والجماعة.. وكثير من الحلول قد تغيرت وتبدلت حسب التجربة.. وكثير من الحلول لم تكن كذلك في بادئ الامر معطاة من الوحي، بل كانت مقترحات من الفرد والجماعة ثم ابدها الوحي وفرضها وهذه الخاصية توجد في الوحي في آخر مراحله، وهو الوحي الاسلامي، فهو ليس عطاء من الوحي، بقدر ما هو فرض من الواقع وتأبيد الوحي له وهذا معنى اسباب النزول).

النخب النفطية: هل هي خط نخبوي جديد؟

زاد في اشكالية تجديد النخبة وتقديم انماط نخبوية مختلفة، العائدات البترولية الضخمة التي قلبت اقتصاديات المجتمعات المهددة وعملت على تعميق صدوع ثقافاتها.

لقد كان التوزيع ضبابياً في تخصيص عائدات النفط، واي من الفئات أو الطبقات أو الشرائح الاجتماعية هي الاجدى بها؟ واستقر الرأي ان تكون (القبيلة الحاكمة) هي صاحبة الحق لأنها صاحبة الامر لذا فقد تحولت القبيلة إلى عائلة مالكة تورث فيها السلطة شرط ان تتمكن من ابعاد الثروة النفطية الهاطلة على المجتمع عن (العامة) أو ما يسمى اقتصادياً بالطبقة محدودة أو معدومة الدخل التي تعيش ليومها. وبذلك ابعدت الثورة عن الكتلة البشرية الفاعلة، ذات الثقل العددي، لان وصول الثروة إلى مثل هذه الكتلة قد يتسبب في دفعها لفعل لم يكن ليستوعب حتى على صعيد النخب نفسها.

نتج عن هذا الفصل بين النفط والثقل البشري، ان برزت اشكالية (الايمان والنفط) والتي اعيدت صياغتها كي تكون (الايمان النفطي) كما اوردها د.فيصل دراج (فالنفط هو هبة لمن اتبع تعاليم الله، واعز رسالته، فإن اعطى النفط حقوقه انتقل إلى المظاهرة ورأى فيها (المشرعن) فتنة، إلى ان يصل إلى الحاكم والرعية، عندها تكون المحبة جسراً ذهبياً بينهما).

وهذا يعني ان الفكر النهضوي الحاضر الذي يحاول اعادة بناء صورة النخبوي البديل، انما يعمل على ترهين الفكر الديني أو تسليف الفكر ذاته.

ولكن كيف يتم ابتكار معادلة يتم وفقها تخليص الدين من الارتهان في الوقت الذي يتحول التسليف الفكري إلى دليل فعل وتغيير؟

للوصول إلى مثل هذه المعادلة التي ستبعد عن الاذهان، الاحكام المتداولة التي تربط بين المنطقة والزندقة، كان لابد من نقل اشكالية عقل/ودين إلى افق جديد يمكن فيه للفكر ان يتمنطق دون ان يتزندق.

وانسجاماً مع مثل هذا التحول في بناء (نخب النفط) فقد تم تنبيه مثل هذه النخب من ان تقع في التقليد إلى حد خيانتها للواقع بالاضافة إلى التبعية الفكرية التي قد تصل إلى حد العمالة (حنفي، ص٢٥) إلا ان مفكراً (نيو نخبوي) آخر هو عادل حسين، حاول ان يصل إلى بناء الصيغة التي يعاد وفقها بناء مثقف نخبوي يقي ثقافته من التهديد والاختراق.

والصيغة التي اتى بها هي توسيع (العقلانية الاسلامية) للحد الذي يمكن فيه تجنيب الوقوع في التقليد ـ وفق رؤية د.حسن حنفي ـ مع الابتعاد عن العمالة التي قد يقع فيها المثقفون من ذوي التبعية الفكرية للآخر.

وفكر حسن حنفي وعادل حسين انما يعكس النظرة المتشظية التي من خلالها، يحاول النهضويون المفكرون في الراهن فهم العالم بثقافاته المهددة المخترقة والمهددة المخترقة.

لذا فهم يفرقون بين ثقافات (الآخر) التي تعمل على ادلجة مفاهيمه، أي احتكار المعرفة والانتاج والقوة لصالحها عن طريق توجه فكري يؤكد سموها، ويعلي افضيلتها، في الوقت الذي يحط من قيمه واقتدار الثقافات الباقية لكي يكرس التباعد بين هذه الثقافات ويفرض على الادنى منها التسليم والتبعية.

لذا (يتوجب) ان تؤمن فيه لكل المجتمعات حصص مناسبة من مفاهيم مثل الديموقراطية، والاختيار الحر، والكرامة، والاستقلال، لتجنيب مجتمعاتنا من الوقوع في المصيدة الإيديولوجية المعدة لعالم الثقافات المهددة والمخترقة وبذلك تتساوى انصبة الثقافات في المعرفة والتأثير والمنافسة.

وفي مثل هذا الجو من الأيديولوجية مع سيادة عالمية لمفهومات التعامل والتفاعل والمتناقض بين الافكار والناس والسلع فان النهضوي الجديد (النيو نهضوي) في المجتمعات المهددة والمخترقة في ثقافاتها يمكن له ان يوفق بين انتمائه لثقافته بما فيها من تدين دون الوقوع في السلفية في الوقت الذي يجنب فيه نفسه من ان يكون عميلاً تابعاً لثقافة الآخر.

حلول للواقع وواقعية الحل:

ان مثل هذا التصور للايدولوجية أو اللاايديولوجية، وكسر احتكار التفوق الثقافي، انما يكون مُرتهناً ليس بطموحات عقلية مأزوقة لمفكرينا النهضويين المعاصرين كما هو الحال (بتوسيع العقلانية الاسلامية) وافتراض تساوي الحصص والانصبة، وإنما يرتبط هذا كله بمدى تحقيق (كونية المعرفة) وإعادة تصنيع صيغها موزعة وبشكل متناسب وذلك دفعاً للاختراق وتمكيناً للنخب المهددة من ان تتحرر من اسر واقعها، ومن خوفها منافسة الآخر وبالاقل من هذا حكم اسقاط تهمة العمالة والتبعية عنها.

ولكن كيف يتم لجم تسلط الآخر واستقلاله من خلال استخدامه ايديولوجية التفوق فكراً وسلعة وقوة ومعلومة، واستبدال هذا كله بنظرة كونية تدين بالاختلاف بين الثقافات وتعدديتها واختيار المسارات التي تقررها؟

ان مثل هذه (اليوتوبيا) المتمثلة في كونية واختلاف وتعددية الثقافات إلى حد اسقاط التهديد وما يترتب عليه من مهدِّد ومهدَّد وارقى وادنى، انما هو حلم تطمح الثقافات المهدَّدة ان تسوقه.

والصعوبة في مثل هذه الدعوة (الخيرة) انما تفهم من ثقافات (السقوط) بانها تبرير لتراجع وضعف ولا فاعلية وعدم قدرة ثقافات الضعف على التنافس والصراع.

فالثقافة المسيطرة هي الثقافة القوية، وبذلك تكون مفاهيم العدالة، كما يرى د. فيصل دراج كلمات مجردة بائسة (يصادر المنتصر كونية الثقافة يعولها بحفظها لبلده.

فان التقى بالمهزوم في تأريخه المهزوم القى النار والرماد وعلى تآخي البشر واعطى الآخر صفة المتوحش) .

ومثل هذا التفاوت بين (العولمة) التي تمارسها ثقافات القوة وبين (الكونية) التي تريد تسويقها وبخجل ثقافات الضعف، انما يكرس الثنائية القاتلة: ثنائية متحضرون وبرابرة متوحشون مما يبرر اجتثاث هؤلاء البرابرة، ممن لا ارواح لهم أو من جرى تغييب أرواحهم إلى حد استعبادهم.

فمن هو المنتصر في طريق الصراع الحضاري الطويل، أهو المتعالي ذو الثقافة المهددة المخترقة ذو الثروة والقوة والمعلومة، ام هو فقير العالم الثالث المتحصن بارادته وجلده العاري، وارادته المنهوبة، الغاطس في وحل ماضيه؟ ان هذه الصورة على بؤسها ومأزوميتها، انما تمثل القلق الذي تعيشه ثقافات العالم، والذي قد يكون أكثر تهديداً لها من التلوث والايدز.

الخلاصة

الحل كونية جديدة، هي على ما فيها من يوتوبيا وتخيل لان الايدلوجية المسيطرة انما تكون ثقافتها هي المسيطرة، فالثقافات القوية المهددة لا يمكن ان تتخلى عن تسلطها بفعل امتلاكها للسلعة والفكر والقوة، كي تقبل بالحل الكوني، كما ان الثقافات الضعيفة المهددة يصعب عليها التخلي عن ثوابتها (رغم قدمها ولا فاعلية بعضها) لأنها لا تثق بثقافات الآخر، بعد ان عانت وتعاني منه، وبهذا فهي بعيدة بعد ثقافات القوة عن القبول بالحل الكوني.

ان الحل الكوني الذي ينظر إليه يوتوبيا بانه غير قابل للتطبيق من وجهة نظر الثقافات المهدّدة ويوتوبيا قابلاً للادلجة من وجهة نظر الثقافات المهددة، انما يحتم اعادة بناء مجتمعات العالم. وقد يكون حل كرامشي باختصار المسافة بين الثقافة الشعبية للثقافات المهدّدة والثقافة العالمية للثقافات المهدّدة احد هذه الحلول المكنة وصولاً إلى الكونية.

تسليم السلطة وإنهاء الاحتـــلال، ودور القوى الوطنية

(٣-٣)

د. مهند البراك

يرى العديد، إنه بانتهاء العمل بصيغة مجلس الحكم الانتقالي، تتشكل جمعية وطنية انتقالية تتألف من أعضاء مجلس الحكم الانتقالي المشرفة أعماله على الانتهاء، وآخرين يرشحهم المجلس المذكور بالتشاور مع التحالف وممثلي الأمم المتحدة، لعضوية الجمعية الانتقالية ليصادق عليهم المؤتمر المذكور وقد يضيف إليهم الجمعية الوطنية الانتقالية، ممثلي القوى والأحزاب. الإسلامية، الكردستانية، الديمقراطية واللبرالية العلمانية والقومية العربية إضافة إلى المستقلة المعروفة ومسؤولي الملفات المهمة.. وغيرهم.

تستلم الجمعية الوطنية الانتقالية السلطة من إدارة التحالف وتسمي رئيس الدولة الانتقالي ونوابه ورئيس الوزراء (جميعهم انتقاليين) من بين أعضائها، بالتشاور وفقاً لاتفاق تشرين ٢٠٠٣، ويتسلم الوزراء مهمات وزاراتهم من التشكيلات السابقة، كلاً في مجاله ويدعو رئيس الوزراء لعقد اجتماع مجلس الوزراء (السلطة التنفيذية) للبدء بتسيير مهمات الحكومة الانتقالية.

ولما كان رئيس الدولة ونوابه ورئيس الوزراء انتقاليين (غير منتخبين وفق الأصول البرلمانية برغم الثقة التي أعطتها لهم الجمعية الانتقالية بتسميتهم لمناصبهم) ولكونهم مستمرين في عضويتها، فإن طرح طلباتهم على الجمعية الانتقالية ومساءلتهم من قبلها، تبقى مستمرة لحين انتهاء الفترة الانتقالية، أو كما تقرر الجمعية الانتقالية، بما يخدم مصالح البلاد ووفق نص وروح إدارة الحكم الانتقالي، بالتشاور مع ممثلي الأمم المتحدة وقيادة التحالف.

ويرون أن تلك الإجراءات المتعرجة، تتناسب مع أوضاع البلاد المعقدة الخطرة من جهة، وستوفر مشاركة أوسع بين قطاعات الشعب في هذه الظروف لأن الحكومة ستكون أقرب إلى اختيارها وليست بقرار فوقي فقط من ناحية، وتوفر تجربة لا بد منها لمعرفة نقاط الضعف والقوة على طريق التهيؤ للانتخابات والتصويت على الدستور الدائم وانتخابات البرلمان، التي ستكون من الأسفل إلى الأعلى، وهي أمور حرم منها البلد طوال عقود طويلة ولا خبرة له فيها، إضافة لما حصل من أوضاع غير مسبوقة له بالاحتلال. من جهة أخرى تحافظ على ما تحقق في مجلس الحكم الانتقالي برغم أسس تشكيله الخاطئة وحجب الكثير من الصلاحيات الأساسية لعمله، إلا إنه أضاف لخبرة عمل الأحزاب والقوى الوطنية العراقية بطيفها، خبرة جديدة ضرورية من أجل ممارسة الحكم، بعد أن عملت كمعارضة فقط بل ومعارضة عنيفة أجبرها عليها الدكتاتور المقبور آنذاك. إن مشاركتها وقيادتها للبلاد (مهما كانت ناقصة كما مر) والتفاعل والتعارف والتناقض فيما بينها والاتفاق أيضاً، في هذه الظروف الكثيرة التعقيد التي حاولت تهميشها من منطلقات متعددة، أثبتت برغم العديد من النواقص والهفوات، إنها متمسكة بموقفها الوطني، بل إنها في صراع لا يمكن إخفاؤه مع الاحتلال الذي يحاول الانفراد وإبعادها عن دائرة القرار، في الوقت الذي يتوضح فيه انحيازها لقضية الوطن برغم التعقيدات والمخاطر، بل وتنافرت مع إدارة الاحتلال واضطرته إلى تغيير العديد من خططه، وأعلن عدد من الأعضاء والعضوات تجميد أنفسهم احتجاجاً على إجراءات، الأمر الذي قد لا يروق لإدارة التحالف.

تمارس الجمعية الوطنية الانتقالية (١) دورها من خلال الأحزاب والفعاليات المتنوعة المرتبطة بها التي لا تملكها الحكومة الانتقالية، في تحشيد الناس والتوضيح لهم وكسب تأييدهم لإجراءات الحكومة الانتقالية (السلطة التنفيذية)، وتمارس دورها الرقابي على أداء الحكومة الانتقالية ومدى انسجامه مع قانون إدارة الحكم الانتقالي، وملائمته لتحول المجتمع وتحضيره نحو الانتخابات وبناء دولة المؤسسات على أساس دستور دائم مقبل، وتمارس دورها في منع تسلل أنصار الدكتاتورية المقبورة والبعث العفلقي مجدداً إلى مؤسسات الدولة ومؤسسات الثقافة، والعمل المتواصل لوضع حد لأفكار العنف والشوفينية والتعصب القومي والديني والطائفي، والحرب، ومعاداة حقوق المرأة.

إزاء ذلك، فإن ذلك سيحل إشكالات كبيرة ويعمل على وقاية البلاد من مخاطر هائلة، إن صادف وشكل التكنوقراط غالبية الحكومة الانتقالية، دون أحزاب تدعم إجراءاتهم، في ظروف أعمال الإرهاب المستمرة بالتصاعد والبطالة.. وتستطيع مخاطبة شتى فئات المجتمع بلغتها وبإطار وعيها وحاجاتها من جهة، وتنظم طلباتها وتعرض همومها وشكاواها، واعتراضاتها، والاقتراح والمساهمة في إيجاد حلول لها بالتعاون مع مؤسسات الحكومة الانتقالية، وتجنب حدوث الأزمات وبعيداً عن اللجوء إلى الشرطة وغاز التظاهرات لمواجهة العصيانات.. ثم الرصاص ومواجهته، وفتح جبهة جديدة لعنف جديد، مما يتطلب تعضيد الأحزاب والقوى الوطنية باختلاف طيفها، وزيادة دورها خدمة لهدف الاستقرار المنشود.

إن الجمعية الوطنية الانتقالية بخبرتها التي تجمعت (من خلال عمل أعضائها في مجلس الحكم الانتقالي) واستكمال تكوينها، وبتفرغها من أعباء المهمات الإدارية اليومية لإعادة بناء مؤسسات الدولة التي سيتسلمها مجلس الوزراء (السلطة التنفيذية)، ستتفرغ للشؤون الستراتيجية العليا، كسياسة البلاد ومتعلقات الاحتلال ولواحقه (نحو تعديلها وإنهائها)، الخطوط الأساسية لاقتصاده، الملف الأمني، التعامل ودرجة وشكل التنسيق مع الأمم المتحدة مسألة القوات العسكرية الأجنبية، وملاحقة أسباب تواجدها وماهيته (أمريكي، أوروبي، عربي أو مشترك وبقيادة من) ووظيفته نحو تخفيفها التدريجي، وكتابة مسودة الدستور الدائم والتهيئة للتصويت عليه، وإجراء إحصاء سكاني جديد، ومسودة قانون الأحزاب والإعداد لبرلمان البلاد، وعلم جديد ينسجم مع تاريخ البلاد وأمجادها وانتماء أهلها.. قضايا محاكمة صدام وكبار المجرمين، الإعلام، سياسة الدولة في قضايا الشباب والنساء.. الخ.

ويرى العديد من المفكرين ومن ذوي الخبرة وعلوم الاجتماع أن تهيئة الرأي العام والمجتمع للانتقال إلى واقع جديد أكثر واقعية بعد العقود الطويلة للخطاب المزايد والديماغوجيا السياسية التي خلقت الانتهازية واللاأبالية، والحنق والغضب والصدام يتطلب المزيد من التقرب للناس، للكادحين منهم بوجه خاص والتعرف على معاناتهم واحترم آدميتهم وتلبية مطالبهم المتواضعة بالعيش الكريم وهو أمر لا يتحمل التجريبية والقرارات الفوقية المتناقضة كما في العام المنصرم تحت الاحتلال، فالإنسان ليس آلة ولا يمكن أن يساق بالقرارات الفوقية بالسياط، كما عمل المجرم صدام وزبانيته ولا بحسابات الكومبيوتر الدقيقة، بل بتلبية حاجاته هو ابن البلد النفطي الثري، بكسب ثقته التي تحتاج إجراءات مدروسة متنوعة ممن يحكم، يحس بها المواطن بتحسن حياته وحياة وسلامة أطفاله..

وإلا استمر التضاد والتغرب وبالتالي العنف، ابن الفقر والحاجة، مهما كانت الشعارات، ومهما كان الكلام مزيناً.

(١) تسمى في عدد من البلدان الأوروبية بـ(لجنة حماية الدستور)، وفي عدد من البلدان الآسيوية والإسلامية (مجلس الشورى) و (هيئة تشخيص مصلحة النظام).. لها الصلاحية بالتدخل لإيقاف أي إجراء يتخذ من الحكومة إن كان يتناقض مع دستور البلاد المقرر (سواءاً كان مؤقتاً أو دائماً).

آيديولوجيا التطرف والعنف

كاظم الحسن

العنف بغطاء سياسي هو البحث عن المشروعية في عالم السياسة المتقلب، حيث تكثر فيه الدسائس وصراع المصالح، ويحاول كل طرف تغطية أهدافه بقناع المبادئ والأخلاق والتصورات المثالية، وكلما كانت الأفكار متعالية وبعيدة عن الواقع، يكون العبء والضغط على الإنسان مهلكاً، ويصل في بعض الأحيان إلى العمل من أجل تبديل طبائع الإنسان باسم فكرة سياسية تتلبس غطاء دينياً.

ولو نظرنا إلى تاريخ المنطقة العربية الإسلامية لوجدنا أن الدين قد تم تجييره من قبل السياسة، وأصبحت معظم مراحل تاريخ هذه المنطقة تتمثل بالظلم والجور والتعسف، وحتى الفترة القصيرة من زمن التأسيس والتي تعتبر ذهبية، كانت محل اضطراب وتنازع واقتتال وبعدها خيمت على العالم الإسلامي المضاهر الدنيوية في السياسة.

فأصبحت المعارضة تبحث عن عالم مثالي خارج التاريخ يمثل أحلامها في الحرية والعدالة، ولكن عدالتها الخاصة من منظور الطائفة التي اعتنقت هذا المبدأ لكي تسقطه على باقي الطوائف والأديان.

هذه الفجوة بين الدين والسياسة حاولت الحركات التي تسمى الإسلام السياسي، توظيفه من خلال الهوة القائمة بين الدولة والمجتمع وافتقاد المجتمع المدني وانعدام المشاركة السياسية وتوارث المناصب والنفوذ والامتيازات، إضافة إلى الانكسارات السياسية والعسكرية والفشل في مجالات الاقتصاد والتنمية، وقد أدى ذلك إلى النزوع نحو العنف والقوة كأداة لحل المتراكم والمتفاعل من الأزمات والمشاكل التي تفاقمت وتزايدت على نحو غير طبيعي مما أدى إلى انسدادات فكرية ونفسية وروحية ساهمت في دفع العديد من الناس إلى تبني العنف كخيار أخير لتغيير الدولة والمجتمع. إن النظرة المطلقة للتاريخ تجعله خاضعة للأهواء والرغبات والأحلام وتصوره على إنه دائري يمكن استعادة أية نقطة أو طور سياسي أو اجتماعي، إذا خلصت النيات وصدقت النفوس وتعالت الأرواح عما هو مدنس ودنيوي.

هذا التبسيط للتاريخ يعمل على رحم التحولات والتغيرات والتي أصبحت واقع حال، فيصبح إلغاء الآخر ونفيه والقضاء عليه كأنه من الواجبات الدينية لأنهم يعتبرون عصراً جاهلياً ينبغي تغييره على وفق النموذج التأسيسي المختلف عليه.

ولكن للزمن سيره غير المتوقف أو المتباطئ وهو أشبه بالنهر المتحول الذي ليس هو نفسه في كل مرة، كما يقول أحد الفلاسفة. ما زال في النفوس حنين إلى طفولة الجنس البشري وهذا الشيء، حدث في أوروبا عندما شعر الكثير من الناس أن حياة المدينة قد سرقت من الإنسان الوداعة والبراءة.وتلاصق العنف بعجلة التطور وتزايد حتى أصبح كالسرطان يهدد شعوب الأرض ويفقد العلائق الاجتماعية الدفء الإنساني والروح الحميمة التي تضفي على الوجود المعنى والرمز والاطمئنان، وأصبح الإنسان ترساً صغيراً في ماكنة هائلة تطحنه كل يوم دون أن تعطيه سوى القلق والشك واللاانتماء، بحيث انهارت المقاييس والقيم في عالم عاصف هادر في حركته ومسعاه وصيرورته اللامتناهية بآفاقها المجهولة على عالم من المتناقضات ولأضداد والتي تبدور للعقل إنها غير متسقة مع حركة التاريخ.ويبدو أن الواقع الاجتماعي والعمادي في مجتمعنا منفصل عن الفكر ومتباعد عنه، وهذا ما يجعل عملية اختراق الواقع والولوج في طياته والتحكم بأحداثه ورسم آليات عمله، مهمة صعبة ومتعذرة، مثلما أن رصد وضبط وتحليل معطيات المراحل التاريخية منفلتة عن الفاعل التاريخي.

إن ضمور القوى الفكرية والسياسية وتحول الأفكار والرؤى النقدية إلى صوفية ورومانسية تتداعى وتتسرب من خلالها الأوهام والتصورات غير العقلانية والغنوصية والدخول في متاهات ودهاليز اليقين المطلق المتحجر في رؤيا أحادية وشمولية قاصرة عن الفهم والاستيعاب. كل هذه التطورات تؤدي إلى العنف.

إن عدم الاعتراف بالأزمة لا يعني أنها غير موجودة، وبالعكس أن إهمالها وتجاهلها يؤدي إلى تفاقم وتصاعد حدة المشاكل وتحولها إلى قنابل موقوتة قد تهدد الجميع في أية لحظة وتؤدي إلى نتائج مهلكة ومؤلمة للكثير من الناس، وهذا الأمر لا يعيه الآخرون بسبب النرجسية العالية وطغيان الأنا بشكل هستيري، فأصحاب هذه النظرة يعتقدون أنهم يمتلكون الحقائق المطلقة والمنزهة والكاملة عن التاريخ والكون والإنسان.إن مسيرة الإنسان في سعيه الدائم للحصول على المعرفة، وإقامة الجسور مع الآخر، قد تعثرت واضطربت لأن النظر إلى الطائفة أو العرق أو الدين على إنه محدد نهائي للمعرفة والوجود قاد الإنسان إلى التعامل بعنف وقسوة، بددت الكثير من الآمال والأماني في تحقيق سعادة الإنسان.ويبدو أن العالم بحاجة إلى وقفة صادقة مع الضمير والنفس من أجل إقامة عالم إنساني رحب يجمع كل الأعراق والأديان والطوائف والمذاهب السياسية من أجل مستقبل أفضل

حول الأمية المعلوماتية والمؤسسات العراقية الجديدة

د. تيسير عبدالجبار الآلوسي

وصلت الأمم المتحضرة اليوم إلى أعتاب تطورات معرفية وعلمية بعيدة. وللحاق بتلك التطورات لابد من تغييرات جدية في زمن المكننة ودخل بعدها مرحلة الأتمتة فهو اليوم داخل في مرحلة الرقميات أو الديجيتال التي لا مفر من التعاطي معها إذا ما كنا نريد لأنفسنا الاندماج في عالم اليوم وأحداثه..

ولكن ما بالنا لا نقرأ حقيقة ما يجري في بلادنا فنحن مازلنا نملك من الأمية الأبجدية نسبة غير سهلة المعالجة ولدينا من تخلف آليات العمل الإداري والتخطيطي العام الشئ الكثير مثلما لا نملك أدوات تفعيل التعامل مع تكنولوجيا الرقميات.. فلدينا أمية حقيقية في إطارها بنسبة مهولة أبعد بكثير من أميتنا الأبجدية وأميتنا بلغات الأرض الحية!

ويمكن أن نقرأ مستوى ما نحن فيه إذا ما عرفنا أنَّ عددا كبيرا من أساتذة الجامعات أنفسهم لم يتعرفوا بعد على كيفية استخدام ما يسمونه الحاسوب في لغة التعامل اليومي فضلا عن نسبة أكبر من تلاميذ الجامعة ممن لم يروا الكومبيوتر نفسه ولا نقول لم يتعاملوا معه.. ولدينا جامعات لم تدخل بعد في سجل التوثيق المعلوماتي فإن وجدنا تلك التي وضعت بعض العناوين على الكومبيوتر عنها فإنّها لم تضع أكثر من اسمها وعدد من الكليات التي تضمها ولا شئ يذكر غير هذا!

ماذا يُرتجى من وراء مثل هذه القائمة الطويلة من فضائح التخلف؟! ليس لنا إلا أن نتجنب الاحباط وخيبة الأمل والإسراع في عمل مواظب على الحركة والتغيير الجذري وتوظيف خبراء مناسبين لمثل هذه الأعمال والأنشطة المعرفية وفتح منافذ التعامل مع تكنولوجيا المعلومات على مصاريعها كاملة وإتاحة الفرص كافة من أجل امتلاك أجهزة الكومبيوتر ومن أجل إتاحة معرفة التشغيل والبرمجة والاستخدام الأمثل...

من هنا كان لزاما أن نبدأ بكل مراكز البحث والدراسة والعمل ومختلف المكاتب والدوائر والتخصصات لكي نُدخل إليها المعلوماتية بالقدر الذي يتيح لنا تغيير البنية التحتية المتخلفة المنغلقة التي ينبغي وضعها في المتاحف فقط لا غير وتجنيب بلادنا شرور ما تقوم به من عمليات إغلاق مطلق للعقل البشري واستلابه قدرات الفعل والعمل الصحيحين..

وحتى نستطيع التعرف على عالم الرقميات (الديجيتال) نحتاج إلى مزيد من حالة توفير الأجهزة وبأسعار متهاودة تتناسب ووضع السوق العراقي وحالة موارد المواطن العراقي أولا من الطبقة الوسطى وثانيا ومن دون تلكؤ من جميع فئات المجتمع العراقي الأخرى بما لا يمنع من وجود (كومبيوتر لكل عائلة) حتى نصل يوما لمستوى تكون لدى كل فرد فرصة استخدام موفور للكومبيوتر..

وهذه المسألة لابد من اتخاذ قرار مخصوص بشأنها بحيث تصل الأجهزة إلى كل جامعة ويكون بيد كل طالب جامعي كومبيوتر فضلا عن وجود جهاز لكل أستاذ جامعي مع وضع كل تفاصيل التوثيق المعلوماتي عن مفردات عمل أساتذة الجامعة بشكل دقيق على شبكة الإنترنت ..

كما ينبغي أن نوفر فرص التدريب بشكل واسع على استخدام الكومبيوتر عبر صفوف الدراسة بدءا من الصفوف المنتهية والإعدادية والثانوية وانتهاء بالصفوف الأولية والابتدائية.. كما لابد من ادخال المعلوماتية لجميع المكتبات بدءا من الوطنية الكبرى وانتهاء بمكتبات الأحياء والضواحي..

ولابد من دعم فرص المشاريع الصغرى اليوم من نمط مقاهي الأنترنت ومكاتبها التخصصية وتوسيع فرص الخدمات التي تقدمها، على أننا لا يمكن أن نتيح فرص التعامل مع شبكة المعلوماتية من غير جهاز هاتف في كل منزل وموقع وعنوان بمعنى لابد من ربط أولي بشبكة الهاتف وكذلك بشبكات مخصوصة لتقديم خدمات الإنترنت والمعلوماتية...

ومن الطبيعي القول بضرورة توفير الأدوات والمواد الضرورية في الإطار فضلا عن التعرف إلى معلومات التشغيل والبرمجة.. وبالتأكيد ينبغي التفكير بحملة وطنية شاملة تستند إلى مشاركة الفعاليات والمنظمات التي تشكل مؤسسات المجتمع المدني القادرة على المساهمة بطرقها الخاصة..

ونحن ندري ما لصحف الأنترنت ومواقعه من فوائد جمة في التفاعلات المعلوماتية لدى الفرد.. ما يمكننا اليوم من التعاطي مع تلك الحملة ومع أهمية تحفيز المجتمع للمساهمة بتفعيلها ومحو أميتنا المعلوماتية ودخول عالمها الواسع باتساع كوننا وحدوده اللامتناهية..

إنها إشارات إلى وزارات التخطيط والتعليم والتربية والثقافة والشبيبة وكل المؤسسات المعنية من أجل الإسراع بحركتنا في طريق دخول عالم اليوم بعد أن كنا حبيسي عالم الأمس عالم الكهوف والثغور المظلمة عالم العتمة وأمراض التخلف.. فإلى عالمنا الجديد دعوة وطيدة محملة بالأمل والتطلع لغد النجاحات الأكيدة.. بخاصة في مجال تشكيل مؤسساتنا العراقية الجديدة وهي مؤسسات خدمة العراقي بأفضل الوسائل المتاحة وليس أفضل الوسائل إلا عملية إدخال العراقي الجديد عالم الديجيتال والرقميات والمعلوماتية بأوسع مفاتيحها.